١٦

التفسير البياني وقفات على تاريخه ومنهجه

م. م. فارعة عبد العزيز علي

ملخص البحث

يُعَدُّ التفسير البياني أحد أنواع التفسير الأدبي للقرآن الكريم؛ لاختصاصه بدراسة معاني الألفاظ ودلالات التراكيب القرآنية، وما فيها من الإعجاز الذي تحدّى به الله – جل في علاه – العرب عند نزوله، على الرغم من فصاحتهم وبلاغتهم، وما زال يتحدّى به العالمين في وقتنا الحاضر، وسيبقى كذلك حتى يرث الله تعالى الأرض ومن عليها.

يُعرَّف التفسير البياني على أنه: " التفسير الذي يبين أسرار التراكيب في التعبير القرآني. فهو جزء من التفسير العام، تنصبُّ فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية، كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التفسير".[1]

وقد ظهرت بوادر التفسير البياني منذ فجر الإسلام، إذ استخدمه الصحابة الكرام – رضوان الله تعالى عليهم أجمعين – ثم تبلور، وصار له منهج خاص في العصر الحديث على يد بعض المفسرين المحدثين.

Abstract

The rhetorical interpretation is one of the types of literary interpretation of the Holy Qur’an. Because of his specialization in studying the meanings of words and the semantics of the Qur’anic structures, and the miracles in them that Allah - glory be to Him - challenged the Arabs when it was revealed, despite their eloquence, and he still challenges the worlds with it in our present time, and it will remain so until Allah Almighty inherits the earth and those on it.

The term rhetorical interpretation means: the interpretation that shows the secrets of the structures in the Qur'an expression and it is part of the general explanation. In which the focus is on stating the secrets of expression from a technical point of view, Such as advance and delay, mentioning and deletion, and choosing one word over another, and so on, regarding the conditions of interpretation.

The beginnings of the rhetorical interpretation appeared since the dawn of Islam, when it was used by the sahaba - may God Almighty be pleased with them all - then it crystallized and became a special approach in the modern era at the hands of some modern commentators.

المقدمة

يعود ظهور التفسير البياني إلى عصر صدر الإسلام، وهذا خلاف ما أجمع عليه المختصون في مجال التفسير، إذ أنهم يعتقدون أنَّ ظهوره مرتبط بظهور المصطلحات البلاغية في صدر العصر العباسي، وحقيقة ارتباط ظهور التفسير البياني بعصر صدر الإسلام تعود إلى أنَّ الصحابة الكرام –رضوان الله تعالى عليهم أجمعين– درسوا القرآن دراسة متبحِّرة، إلّا أنَّهم لم يُسَمُّوا مصطلحات علم البيان في ذلك الحين، بيد أنهم أهل الفصاحة والبلاغة الذينَ اشتهروا بمعرفتهم الفطرية لمواطن الذكر والحذف، والإطناب والإيجاز، والحقيقة والمجاز، وغيرها من المصطلحات البيانية، مِمّا جعلهم أول المؤسِّسين للتفسير البياني.

أهمية الموضوع:

يُعَدُّ علم التفسير من أشرف العلوم؛ لأنَّهُ يتناول كلام الله تعالى المنزَّل على النبيِّ الأميِّ ﷺ، فهو منهاج المسلمين الذي يحوي بين دفتيه عقيدة الإسلام وشريعته، فلا غنى لمسلم عنه في أمور دينه ودنياه.

أمَّا تخصيص التفسير البياني بالدراسة، فلأنه يُعنى ببيان اللفظ القرآني والتراكيب القرآنية التي تحدّى بها الله ﷻ البلغاء والفصحاء، فعجزوا عن الإتيان بمثلها.

سبب اختيار الموضوع:

إنَّ سبب اختيار موضوع الدراسة يعود إلى قلة الدراسات القرآنية المتخصصة في التفسير الأدبي للقرآن الكريم، فمعظم الدراسات تبحث في الناسخ والمنسوخ، أو المحكم

والمتشابه، وغيرها من موضوعات علوم القرآن، ولكون التفسير البياني من نوع معاصر من أنواع تفسير القرآن الكريم، الذي يمكن للمفسِّر أن يسبر أغوار الألفاظ القرآنية ليحيط ببعض أسرارها الخفية التي لا تنضب، فضلًا عن كونه يتيح للباحثين أن ينهلوا من ذلك المعين الذي لا ينضب إلى يوم الدين.

الهدف من الدراسة:

تهدف الدراسة إلى الوقوف على تاريخ التفسير البياني، بتتبع تطوره منذ ظهوره إلى يومنا هذا تتبعا تاريخيا؛ لمعرفة أصول نشأته وصولًا إلى ما آل إليه في العصر الحديث، ودراسة مناهج العلماء الأجلّاء الذين وصلوا به إلى ما هو عليه في عصرنا هذا.

مشكلة البحث:

يأتي هذا البحث ليجيب عن الأسئلة الآتية:

١. إلى أي عصر تمتد جذور التفسير البياني؟

٢. كيف تطور التفسير البياني على مرّ العصور حتى العصر الحديث؟

٣. ما مناهج أصحاب التفسير البياني في العصر الحديث.

منهجية البحث:

أما المنهج المتبع في البحث فهو المنهج التاريخي، إذ تتبَّعت كلَّ ما وقع بين يدي من كتب التفسير البياني، ثم رتبتها حسب التسلسل المنطقي، وخرَّجت الأحاديث النبوية الصحيحة من مظانِّها حسب التسلسل الزمني لوفاة أصحابها، فإن لم تكن في الصحيحين ألحقتُ بها حكم العلماء عليها.

الدراسات السابقة:

سأكتفي بذكر ثلاث فقط لئلّا أُثقل المقدمة: وهي:

١. المنهج البياني في تفسير القرآن الكريم – بنت الشاطئ أُنموذجًا، رسالة ماجستير تقدَّم بها باب العياط نور الدين إلى جامعة وهران – كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، ٢٠٠٦ – ٢٠٠٧.

٢. المكونات الأدبية للتفسير البياني للقرآن عند عائشة عبد الرحمن، م. د. عباس أمير معارز، م. د. زينب جاسم محمد، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المجلد (٩)، العددان (٣-٤)، ٢٠١٠، ص: ٢٠-٤٠.

٣. التفسير البياني عند القدامى والمحدثين –دراسة في المصطلح والتأصيل–، حاجي خولة، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باتنة ١، المجلد (١٩)، العدد (٣٩)، ٢٠١٨، ص: (١٩٩-٢١٢).

خطة البحث:

تقع الدراسة في مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة، بيَّنت في المبحث الأول معنى التفسير البياني، وتتبَّعت في المبحث الثاني تاريخ التفسير البياني وذكرت أبرز التفاسير البيانية بدءًا من عصر التدوين، أمّا في المبحث الثالث فقد سلطت الضوء على المناهج التي اتبعها المفسرون البيانيون في العصر الحديث، ثم لخَّصت في خاتمة البحث أبرز الاستنتاجات، وأهم التوصيات.

المبحث الأول: التفسير البياني

لبيان معنى التفسير البياني لا بد من بيان معنى مفردة التفسير أولا، ثم بيان معنى مفردة البيان، يلي ذلك بيان معنى مصطلح التفسير البياني بوصفه مركبا إضافيا.

١. التفسير:

أ. التفسير لغةً:

جاء في لسان العرب: الفَسْرُ: الْبَيَانُ. فَسَر الشيءَ يفسِرُه، بالكَسر، ويفْسُرُه، بِالضَّمّ، فَسْراً وفَسَّرَهُ: أَبانه، والتَّفسيرُ مِثْلُهُ. وَقَولُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَحسَنَ تَفْسِيراً﴾[٢]، الفَسْرُ: كَشْفُ المُغَطّى، والتَّفسير كَشف المُراد عَنِ اللَّفظِ المُشكلِ، والتأْويلُ: رَدُّ أَحد الْمُحتَمَلَينِ إِلَى مَا يُطَابِقُ الظَّاهِرَ. واسْتَفسَرتُه كَذَا أَي سأَلته أَن يُفَسِّره لِي.[٣]

ويقارن الراغبُ بين لفظتي الفَسرُ والسَّفرُ فيقول: يتقاربُ معناهما كتقاربِ لفظيهما، لكن جُعِلَ الفَّسرُ لإظهارِ المعنى المعقولِ، وجُعِلَ السَّفرُ لإبرازِ الأعيانِ للأبصارِ، فيُقالُ: سَفَرَتِ المرأةُ عن وجهِها، وأسفرَ الصبحُ.[٤]

ب. التفسير اصطلاحًا:

عرَّفه أبو حيان الأندلسي فقال: "التفسير علم يبحث فيه عن كيفية النطق بألفاظ القرآن، ومدلولاتها، وأحكامها الإفرادية والتركيبية، ومعانيها التي تحمل عليها حالة التركيب، وتتمات لذلك".[٥]

أما ابن عاشور فيقول في المعنى الاصطلاحي للتفسير: "هو اسم للعلم الباحث عن بيان معاني ألفاظ القرآن وما يستفاد منها باختصار أو توسع. والمناسبة بين المعنى الأصلي والمعنى المنقول إليه لا يحتاج إلى تطويل. وموضوع التفسير: ألفاظ القرآن من حيث البحث عن معانيه، وما يستنبط منه".[٦]

٢. مصطلح البيان:

أ. البيان لغةً:

قال ابن منظور: البَيانُ: مَا بُيِّنَ بِهِ الشيءُ مِنَ الدَّلَالَةِ وغيرِها. وبانَ الشيءُ بَياناً: اتَّضَح، فَهُوَ بَيِّنٌ، وَالْجَمْعُ أَبْيِناءُ، مِثْلُ هَيِّنٍ وأَهْيِناء، وَكَذَلِكَ أَبانَ الشيءُ فَهُوَ مُبينٌ، وأَبَنتُه أَنا أَي أَوْضَحتُه. واستَبانَ الشيءُ: ظهَر. واستَبَنتُه أَنا: عرَفتُه. وتَبَيَّنَ الشيءُ: ظَهَر، وتَبيَّنتهُ أَنا، واسْتَبانَ وتَبيَّن وأَبانَ وبَيَّنَ بِمَعنًى وَاحِدٍ؛ وَمِنهُ قَولُهُ تَعَالَى: آياتٍ مُبَيِّناتٍ، بِكَسرِ اليَاءِ وَتَشدِيدِهَا، بِمَعنَى مُتبيّنات، وَمَن قرأَ مُبَيَّنات بِفَتحِ اليَاءِ فَالمَعنَى أَنَّ اللَّهَ بَيَّنَها.

والبَيانُ: الفَصَاحَةُ واللَّسَن، وكلامٌ بيّن فَصيح. والبَيان: الإفصاح مَعَ ذَكَاءٍ. والبَيِّن مِنَ الرِّجَالِ: الفَصِيحُ.[٧]

ب. البيان اصطلاحًا:

يقول الجاحظ وهو أول واضعي أسس هذا العلم: البيان اصطلاحًا: "اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته

ويهجم على محصوله، كائنا ما كان ذلك البيان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام. فبأي شيء بلغت الأفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضع".[٨]

أما صاحب جواهر البلاغة فيرى أنَّ البيان اصطلاحاً: "أصولٌ وقواعدُ، يعرف بها إيرادُ المعنى الواحد، بطرق يختلف بعضُها عن بعض، في وُضوح الدّلالة العقلية على نفس ذلك المعنى، فالمعنى الواحد: يُستطاع أداؤه بأساليب مُختلفة، في وضوح الدّلالة عليه".[٩]

٣. معنى التفسير البياني اصطلاحًا:

لم يتَّفق المفسِّرون البيانيون على تعريف اصطلاحي واحد للتفسير البياني؛ لذا سأكتفي بتعريف الدكتور فاضل السامرائي إذ قال: "**هو التفسير الذي يبين أسرار التراكيب في التعبير القرآني. فهو جزء من التفسير العام، تنصبُّ فيه العناية على بيان أسرار التعبير من الناحية الفنية، كالتقديم والتأخير، والذكر والحذف، واختيار لفظة على أخرى، وما إلى ذلك مما يتعلق بأحوال التفسير**".[١٠]

ويعدُّ هذا أشمل تعريف اصطلاحي للتفسير البياني، فضلًا عن أنه ذكر عدة أمور تتيح للمفسِّر أن يحيط بالأسرار الكامنة في ألفاظ القرآن الكريم وتراكيبه، منها: أن يراجع المواضع القرآنية التي وردت فيها أمثال التعبير المراد تفسيره لاستخلاص المعنى المقصود، التي وردت فيها تلك المفردات المراد تفسيرها واستخداماتها ودلالاتها ومعانيها، ويجب على المفسر أن يعرف أنَّ للألفاظ خصوصية في الاستعمال القرآني، كتخصيص لفظ (الريح) للشر و(الرياح) للخير، و(الغيث) للخير و(المطر) للشر...، وينبغي معرفة علم الوقف والابتداء لدلالته على التقييد والتوسُّع في المعنى، وغيره، أمّا التغيير في المفردات والعبارات فيتوجَّب على المفسِّر البياني أن ينتبه إليه؛ لأهميته وإن لم يبد ذلك للمفسر، مثل: الذكر والحذف، الإبدال، والإدغام والفك، وغيره، وعليه أن يطَّلع على كتب علوم القرآن، وتفاسير العلماء، وكتب الإعجاز، والمحكم المتشابه، وكتب تناسب الآي والسور، وغيرها من كتب

أسرار التعبير القرآني؛ لما فيها من أسرار بيانيّة يحتاج إليها المفسِّرون عامّةً والمفسِّرون البيانيون خاصّةً.[١١]

المبحث الثاني: تاريخ التفسير البياني

ظنَّ بعض المؤرخين انّ المنهج البياني في التفسير لم يكن موجودا في عصر صدر الإسلام خلا من المنهج البياني في التفسير، وأنَّ أماراته لم تظهر إلّا في العصر العباسي حين ظهرت المصطلحات البلاغية، وفات هؤلاء المؤرخين أنّ الفطرة السليمة التي كان عليها القوم أهّلتهم لفهم بلاغة القرآن قبل ظهور مصطلحات البلاغة، وليس أدلّ على ذلك من شهادة الوليد بن المغيرة على بيان القرآن الكريم وعلو بلاغته، فقد روى ابن عباس ﷺ: " أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له. قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إنّ لِقولِهِ الذي يقول حلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لَمثمرٌ أعلاه مغدقٌ أسفله، وإنّه لَيعلو وما يُعلى وإنّه لَيَحطِم ما تحته. قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: هذا سحر يؤثر يأثره من غيره. فنزلت:﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ ﴾[١٢]".[١٣]

الوليد بن المغيرة وهو مشرك تذوَّق بلاغة القرآن الكريم، والمسلمون أحقُّ بإدراك ذلك وأجدر. وتحدَّث الجاحظ عن بلاغة القرآن وبيانه فقال: " إنه ليس في الأرض كلام هو أمتع ولا آنق، ولا ألذ في الأسماع، ولا أشد اتصالا بالعقول السليمة، ولا أفتق للسان، ولا أجود تقويما للبيان، من طول استماع حديث الأعراب العقلاء الفصحاء، والعلماء البلغاء".[14]

لقد ظهرت أولى ملامح تفسير للقرآن الكريم بيانيًّا، في بعض الآيات التي فسّرها النبي ﷺ، ومن ذلك تفسيره ﷺ لمعنى الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر حينما أشكل على عديّ بن حاتم ﷺ قال: لما نزلت:﴿ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا۟ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمْ عَٰكِفُونَ فِى ٱلْمَسَٰجِدِ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾[١٥]، عمدت إلى عقال أسود، وإلى عقال أبيض، فجعلتهما تحت وسادتي، فجعلت أنظر في الليل، فلا يستبين لي، فغدوت على رسول الله ﷺ، فذكرت له ذلك فقال: "إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار".[١٦]

أما الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين فقد ساروا على نهج الرسول الكريم ﷺ في بيان القرآن، وابن عباس ﷺ هو أبرزهم في ذلك، فقد كان يلجأ إلى الشعر في بيان معاني القرآن الكريم.[١٧]

وهذا عمر بن الخطاب ﷺ " سأل الناس على المنبر عن معنى التخوف في قوله ﷻ:﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٤٧﴾ ﴾[١٨]، فأجابه الرجل الهذلي بأن التخوف في لغتهم التنقص وأنشده شاهدا عليه: تخوف الرحل منها تامكا قردا كما تخوف عود النبعة السفن

فقال عمر يا أيها الناس تمسكوا بديوان شعركم في جاهليتكم فإن فيه تفسير كتابكم".[١٩]

أما في عصر التابعين، فقد تأثر تلاميذ ابن عباس ﷺ بهذا النوع من التفسير، وأبرزهم مجاهد،[٢٠] الذي فسّر كلمة أبابيل على أنَّها: مُتتابعة مُجتمعة.[٢١]

تجاوز المؤرخون هذه المرحلة؛ لأنَّهم ظنُّوا أن التفسير البياني لم يظهر إلّا في عصر التدوين.[٢٢]

كانت أواخر القرن الهجري الثاني بداية لعصر، الذي زخر بما أبدعه اللغويون من المفسرين البيانيين ، وسأمرُّ فيما يلي أبرز التفسير البيانية ذاكرة مميزاتها.

١-مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى[٢٣]

بيّن محقق هذا الكتاب (محمد فؤاد سزكين) في مقدمة تحقيقه معنى كلمة المجاز عند أبي عبيدة قائلا: بأنها عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهو أعم من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لهذه الكلمة فيما بعد، وقد تأثر ابن قتيبة؛ صاحب (مشكل القرآن) بأبي عبيدة في استخدامها.[٢٤]

أمّا الجاحظ فقد قال عن صاحب المجاز: " ولم يكن في الأرض خارجي ولا جماعي أعلم بجميع العلم منه".[٢٥]

وذكر سزكين: " إنَّ مما يمتاز به أبو عبيدة في تفسيره أنه لم يتقيد بالقيود التي كانت المدرستان البصرية والكوفية تضعانها لفهم النصوص العربية، لأن هاتين المدرستين كانتا في دور التكوين، وبهذا نجا أبو عبيدة من أن يخضع لقواعدهما. وقد عُني –في ضوء هذا التحرر– بالناحية اللغوية في القرآن، وأكثر من الاستشهاد على الآيات بالشعر العربي، وعنايته بالجانب اللغوي صرفته عن الاشتغال بالقصص القرآني وتفصيل القول فيه، كما صرفته عن تتبع أسباب النزول إلا عندما كان يقتضي فهم النص التعرض لذلك".[٢٦]

حذا أبو عبيدة في مجازه حذو ابن عباس ﷺ وتلاميذه في التفسير الأدبي، إذ احتكم فيه إلى لغة العرب في فهم النص القرآني، من حيث استئناسه بذكر الشواهد الشعرية، فجاء مجازه حافلا بأطايب النحو واللغة والبلاغة.[٢٧]

٢-نظم القرآن للجاحظ [٢٨]

أطال الجاحظ الاستشهاد بالقرآن الكريم في كتابه (نظم القرآن) للدلالة على فنون البلاغة وأساليب البيان، على الرغم من أنه لم يكن كتاب تفسير، وهذا الكتاب وكتابه (أي القرآن) من مؤلفاته المفقودة، لكنه أشار إليهما فيما سواهما من مؤلفاته. ألف الجاحظ (نظم القرآن) نزولا عند رغبة الفتح بن خاقان[٢٩]، إلّا أن ابن خاقان أرسل للجاحظ كتابا بعد انتهائه من تأليفه ذكر فيه أنه لم يُرِدِ الاحتجاج لنظم القرآن، وإنما أراد الاحتجاج لخلق القرآن، فأبى الجاحظ أن يحدث له تأليفًا في ذلك.[٣٠]

تلخص منهج الجاحظ في نظم القرآن بالاعتماد على نص القرآن، وهو منهج مختلف عما كان عليه اللغويون والنحويون والمفسرون، ولم يتبع المعتزلة أنفسهم، إذ اختطَّ لنفسه طريقا جديدا واءم فيه بين والبيان العربي وطبيعة الأسلوب القرآني، فضلا عن أنه لم يشرح معنى اللفظ القرآني الغريب، بل ذهب أبعد من ذلك إذ أخذه باعتبار المعنى العام للآية، بل للسورة في بعض الأحيان.[٣١]

٣-تأويل مشكل القرآن، وغريب القرآن لابن قتيبة الدينوري[٣٢]

ردَّ التأويل طعون مدَّعي التناقض على كتاب الله، الذين ابتغوا أن يحرِّفوا الكلم عن موضعه. إذ بذل ابن قتيبة فيه ما استطاع لكشف اللبس، بالحجج النيرة والبراهين البينة، فاستنبط من التفسير وزاد وأوضح ليُري للمعاندين مواضع المجاز، وضرب على ذلك الأمثال لتيسير فهمه على السامعين.[٣٣]

أفاد ابن قتيبة في كتابه (التأويل) من سابقيه، فكان امتدادا لمجاز أبي عبيدة، كما وقف فيه على آراء الجاحظ البلاغية من حيث الحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والإسهاب والإطناب، ولم كتابه تكرارا لما قاله سابقوه، بل جاءت عباراته محكمة دالة على براعة صاحبه وسعة اطلاعه في الفنون المذكورة آنفا.

أما كتاب غريب القرآن فقد تحدث الدينوري عن غرضه ومنهجه في مقدمته قائلا: "وغرضنا الذي امتثلناه في كتابنا هذا أن نختصر ونكمل وأن نوضح ونجمل، وألّا نستشهد على اللفظ المبتذل... وألّا نحشو كتابنا بالنحو وبالحديث والأسانيد، وكتابنا هذا مستنبط من كتب المفسرين، وكتب أصحاب اللغة العالمين، لم نخرج فيه عن مذاهبهم، ولا تكلّفنا في شيء منه بآرائنا غير معانيهم، بعد اختيارنا في الحرف أولى الأقاويل في اللغة، وأشبهها بقصة الآية، ونبذنا منكر التأويل، ومنحول التفسير. ".[٣٤]

٤-تلخيص البيان في مجازات القرآن للشريف الرضي[35]

لم يفسِّر الشريف الرضي في هذا الكتاب القرآن الكريم كلمة كلمة، بل اكتفى بتفسير الآيات التي اشتملت على المجاز فقط، واسم الكتاب يدلُّ على ذلك. وللشريف الرضي تفسير للقرآن الكريم اسمه حقائق التأويل، فسَّر فيه آيات القرآن كلَّها، وهو المسمّى بالتفسير الكبير.

قال محقق التلخيص: لم يهتم لشريف الرضي كثيرا بالقصص والأخبار، ولم يلتفت إلى الأحكام الفقهية، ولم يشتغل بالمباحث العقلية الفلسفية؛ لأنه كان تفسيرا لمجازات القرآن ولإعجاز البياني لا غير".[٣٦]

٥-دلائل الإعجاز في علم المعاني لعبد القاهر الجرجاني[٣٧]

كاد القاضي عبد الجبار أن يفتن الناس بأقاويله في باب الإعجاز؛ لذا ألف الجرجاني (دلائل الإعجاز) للردِّ على تلك الأقاويل دون أن يذكر قائلها.[٣٨]

نفى الجرجانيُّ أن تكون الاستعارة هي موضع الإعجاز؛ لأنَّ ذلك يحتِّم أن يكون مقتصرا على عدد محدد من الآيات، والقرآن معجز جميعه، فالإعجاز عنده كامن في النظم القرآني، وما النظم إلّا توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم.[٣٩]

٦-الكشاف للزمخشري[40]

تكلم الزمخشري في مقدمة تفسيره عن علمين مهمين لمن يريد تفسير القرآن الكريم ودراسة إعجازه وبيانه، هما علم المعاني وعلم البيان، وطبق في تفسير (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) نظرية النظم التي أكَّد الجرجانيُّ في دلائل الإعجاز على أهميتها في القرآن الكريم.[٤١]

أكَّد الزمخشري في الكشاف على الأسرار البيانية في آيات قرآنية معيَّنة، وفسَّرها تفسيرا ينسجم مع مذهبه الاعتزالي، ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣ ﴾[٤٢]، فإنكار رؤية الله تعالى معروف لدى المعتزلة؛ لذا يقول في تفسير ﴿ إلى ربِّها ناظِرةٌ ﴾: تنظر إلى ربها خاصة لا تنظر إلى غيره، وهذا معنى تقديم المفعول، ألا ترى إلى قوله تعالى:﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ ﴾[٤٣]،﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ۝٣٠ ﴾[٤٤]،﴿ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى

ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾[٤٥]، ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾[٤٦]، ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ ﴾[٤٧]، ﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقٗا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾[٤٨]، فالتقديم يدلّ فيها على معنى الاختصاص؛ لذا يجب أن يُحمَل النظر على معنى يصح معه الاختصاص، كقول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، بمعنى التوقع والرجاء.[٤٩]

إنَّ ذكر الكتب السابقة لا يعني أن التفسير البياني محصور فيها فقط، بل هنالك الكثير مما جادت به قرائح العلماء والمفسرين، إلّا أنّ المجال لا يتسع لذكرها، كما أن الكثير من كتب التفسير تكلم فيها أصحابها عن علم البيان في معرض كلامهم عن علم الأصول وعلم الكلام والمسائل الفقهية وغيرها من العلوم.

المبحث الثالث: منهج التفسير البياني في العصر الحديث

بدأ العصر الحديث في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري، برز فيه علماء رفعوا راية التجديد في العلوم كلها، وأولها الدراسات القرآنية التي نحت منحى جديدا، أرادت من خلاله أن تواجه التيار الاستشراقي الذي عزم رواده على الطعن في الإسلام والقرآن، فتظافرت جهود المجددين للرد على الشباب تأثروا بالغرب وانبهروا به، الذين صاروا يرون الإسلام واللغة العربية وكل ما يتعلق بالقرآن فكرا رجعيا، فانبرى أساتذة اللغة العربية وعلماء القرآن بتدريس التفسير البياني، وشرعوا بتأليف ما فتح الله تعالى به مما يشحذ الأذهان لتذوق حلاوة القرآن وروعة بيانه. وسأذكر في الصفحات القادمة أبرز الكتب والتفاسير البيانية في هذا العصر، والمناهج التي كانت عليها.

١-تفسير المنار للشيخ محمد عبده[٥٠] وتلميذه محمد رشيد رضا[51]

تزعَّم الشيخ محمد عبده حركة الإصلاح والتجديد في عصره، وقد ذكر في تفسيره ثمانية وجوه للتفسير هي: النظر في أساليب القرآن ومعانيه وبلاغته، والإعراب، وتتبع القصص، وغريب القرآن، والأحكام الشرعية، والكلام في أصول العقائد، والمواعظ والرقائق، والإشارة. ثم قال بأنَّه عُني في تفسيره بتلك الوجوه وأتبعها ببيان وجوه البلاغة والإعراب على النحو اللائق ببلاغة القرآن وفصاحته، متجنبا الإكثار في أحد تلك المقاصد؛ لكيلا يخرج عن مقصد الكتاب الإلهي العظيم، ولا ينسى معانيه الحقيقية، وهذا ما يقع فيه الكثيرون.[٥٢]

بدأ الشيخ بتفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار، ووافته المنية فواصل تفسيره تلميذه محمد رشيد رضا الذي اقتفى أثر أستاذه في الرفع لواء الإصلاح، وسار على منهجه في التفسير، إلّا أنّه لم يُتمَّه هو الآخر إذ وافته المنية فجأة.

٢-أمين الخولي[٥٣]

درّس أمين الخولي علمي البيان والتفسير في كلية الآداب بجامعة فؤاد الأول، وليس له مؤلَّف في تفسير القرآن، وقد عبَّر عن غرضه الأبعد من الدراسات القرآنية التي عُنيَ بها النظر في القرآن؛ لكونه كتاب العربية الأعظم، ومصدرها الأدبي الخالد، وذلك ما لا ينكره العرب مهما اختلفت دياناتهم وتفرقت أهواؤهم، وإن لم يؤمنوا بصفته الدينية، أو محتواه العقدي.[٥٤]

والسبب الكامن وراء ما ذهب إليه الأستاذ أمين الخولي، يعود إلى تخصصه في الأدب العربي، فصارت غايته من دراسة القرآن هي العناية بالناحية الأدبية للغة العربية وليس الإيمان، وظلَّ يؤكِّد على أهمية الدراسة الأدبية المحضة للقرآن الكريم مرارًا وتكرارًا في كل مؤلَّفاته.[٥٥]

وضع الأستاذ الخولي منهجًا لمن يريد أن يفسِّر القرآن تفسيرا بيانيًا هو أن يفسِّره تفسيرا موضوعيا، ويتضمَّن ذلك المنهج الخطة المتبعة في دراسة النصوص الأدبية، وتكون على مرحلتين:

المرحلة الأولى: دراسة ما حول القرآن.

وذلك بدراسة مباحث علوم القرآن المتعلقة بنزوله وجمعه وقراءاته، أضف إلى ذلك البيئة المادية والمعنوية التي عاصرت نزول القرآن الكريم.

أما المرحلة الثانية فهي: دراسة في القرآن.

وذلك بدراسة مفرداته، والعناية بتدرج دلالاتها على مر العصور، ثم دراسة تراكيبه، بالاعتماد على علوم اللغة العربية كالنحو والبلاغة، فضلا عن التفسير النفسي الذي يُعنى بتلمُّس مواطن الإعجاز النفسي للقرآن، ولا بدَ من الاهتمام بالصلة بين علم الاجتماع والتفسير، التي أشار إليها الشيخ محمد عبده.[٥٦]

٣-التفسير البياني لبنت الشاطئ[٥٧]

الدكتورة عائشة بنت عبد الرحمن تلميذة الأستاذ الخولي وزوجته التي سارت على خطاه، مطبِّقة المنهج الذي وضعه للتفسير البياني في كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم)، وهو التفسير الموضوعي، إذ قامت فيه بدراسة الموضوع الواحد في القرآن الكريم كله، مهتدية بالاستعمال المألوف لألفاظه وأساليبه، وتحديد دلالاتها اللغوية، فهي لم تفسر القرآن سورة سورة -كالطريقة المألوف- لأن تلك الطريقة لن تهديها إلى دلالة الألفاظ اللغوية، ولا إلى خصائص الأسلوب البيانية.[٥٨]

وقد تحدَّثت بنت الشاطئ في مقدمة الجزء الثاني من كتابها عن تقريرها لمسألتين مهمتين، الأولى: أسباب النزول، مع اعتبار أنّ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، إلّا أن يتعين خصوص السبب بنص صريح أو بقرينة بيّنة. والثانية: اعتبار ترتيب النزول، لفهم السياق العام وتدبر دلالات الألفاظ.[٥٩]

ومن الجدير بالذكر أنَّها فسَّرت في كل جزء مجموعة من سور الجزء الثلاثين التي كانت بينها وحدة موضوعية وفقا لمنهج الأستاذ الخولي.

٤-خواطر الشيخ الشعراوي[٦٠]

على الرغم من أن الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى فسَّر القرآن الكريم من أول سورة الفاتحة حتى نهاية الآية الثالثة من سورة الملك، بأسلوب واضح بيِّن مُفهِم استحوذ على القلوب والعقول، فإنه ينفي في مدخل كتابه أن تكون خواطره تفسيرا لكتاب الله تعالى، بل يعدها هبة من الله أنعم بها على قلب مؤمن فصفا ليعقل بعضا من الآيات.[٦١] فهو لا يرضى بتسمية خواطره تفسيرا رغم أنَّه فسّر القرآن من أوله حتى نهاية الآية الثالثة من سورة تبارك، بأسلوب ميسّر فأوضح وأبان وأفهم.

تحدث الشيخ رحمه الله تعالى عن إعجاز القرآن الكريم اللغوي قائلا: " ولقد وقف الصحابة والمؤمنون الذين عاصروا رسول الله ﷺ عند عطاء القرآن الكريم وقت نزوله فيما استطاعت عقولهم أن تطيقه من أسرار الكون، ومن أسرار القرآن الكريم، فلم نجد صحابيا سأل رسول الله ﷺ عن معنى آيات الكون في القرآن، أو عن عطاءات الكون في اللغة، فمثلا لم يسأل أحد عن معنى ﴿الم﴾، أو ﴿عسق﴾، أو ﴿حم﴾، مع أن رسول الله ﷺ كان يستقبل كثيرين يؤمنون بكتاب الله، وكثيرين يكفرون بما أنزل الله، وكان هؤلاء الكفار يريدون أن يقيموا الحجة ضد رسول الله ﷺ وضد القرآن الكريم، ولم نسمع أن أحدا منهم، وهم قوم بلغاء فصحاء عندهم اللغة ملكة وموهبة وليست صناعة، لم نسمع أحدا من الكفار قال: ماذا تعني ﴿الم﴾، أو ﴿حم﴾، أو ﴿عسق﴾.

كيف يمر الكافر على فواتح السور هذه، ولا يجد فيها ما يستطيع أن يواجه به رسول الله ﷺ ويجادله؟ لقد كانت هذه هي فرصتهم في المجادلة، ولا شك أن عدم استخدام الكفار لفواتح السور هذه دليل على أنهم انفعلوا بها وإن لم يؤمنوا بها، ولم يجدوا فيها ما يمكن أن يستخدموه لهم القرآن الكريم أو التشكيك فيه، ولو أن هذه الحروف في فواتح السور كانت تخدم هدفهم، لقالوا للناس وجاهروا بذلك ".[٦٢]

لم يكن تفسير الشعراوي تفسيرا بيانيا فحسب، بل إنه شرح وأوضح وبيَّن كل آية مستشهدا عليها بما يبيِّنها من آيات القرآن ومن الشعر والقصص والمثل.

٥-على طريق التفسير البياني للدكتور فاضل السامرائي[٦٣]

كانت حياة الدكتور السامرائي مسخَّرةً لدراسة القرآن الكريم، وكانت عدته إلى ذلك علم النحو وعلم البلاغة، ولم يشأ الدكتور السامرائي أن يسمي كتابه هذا التفسير البياني؛ لأنه ليس تفسيرا بيانيا، بل هو نقطة أو خطوة أو خطوات على طريق التفسير البياني علَّها تنفع من يبتغي سلوك سبيله.

ويؤكد فضيلته أنه اعتمد في استنباطاته وأحكامه على القواعد المقررة والأصول الثابتة في اللغة ولم يخرج عنها، وحاول الابتعاد عن التعليلات التي لا تقوم على أساس أحكام اللغة ومسلّماتها. وعمد على تيسير الكتاب لقارئه، على الرغم من أنه سيكون أيسر حجة وأوضح استدلالا للمطلعين على علوم اللغة والعارفين بأحكامها.[٦٤]

وقد بيَّن الدكتور السامرائي ما يحتاجه إليه المتصدي للتفسير البياني من علوم، وأوضحَ التشابه والاختلاف في التعبير القرآني، وولم يفسِّر القرآن الكريم كاملا بل اكتفى بتفسير أربع عشرة سورة، تكلَّم فيها بالتفصيل عن دقائق التعبير القرآني.

ومن الجدير بالذكر أنَّ جُلَّ مؤلَّفات فضيلته تدور حول موضوع التفسير البياني، ومنها: بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، وأسئلة بيانية في القرآن الكريم، وكتابه لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، الذي بيَّن فيه ما اختلاف دلالات ما نظنُّه متشابها من ألفاظ القرآن الكريم، وكشف عن أسرارها البيانية في المواضع التي وردت فيها من كتاب الله العظيم، وقد أنتجت قناة الشارقة الفضائية برنامجا بعنوان (لمسات بيانية) شرح فيها الدكتور السامرائي أطال الله عمره ما سطَّره في ذلك الكتاب الأخير.

الخاتمة

توصلت الدراسة في هذا البحث إلى بضعة استنتاجات، أهمها:

١. إنَّ التفسير البيانيَّ رأى النور في الصدر الأول، حين رسول الله ﷺ بذرته الأولى، وتولاّها الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ومَن بعدَهم بالسقاية والرعاية، ثم تطوَّر منذ فجر التدوين لا سيَّما في العصر العباسي إذ وجّه أهل اللغة عنايتهم إليه، ومازال كذلك حتى صار له منهج خاصٌّ على يدي أمين الخولي رحمه الله تعالى الذي أصَّل هذا النوع من التفسير.

٢. على الرغم من وجود الكثيرين ممن وجهوا عنايتهم لدراسة منهج التفسير البياني في جانبه النظري، إلّا أنهم لم يطبِّقوا ذلك المنهج على كل سور كتاب الله تعالى، فالدراسات التطبيقية عُنيَت بدراسة بعض سور القرآن الكريم، ولم أجد دراسة تطبق المنهج النظري له على كتاب الله كاملا.

التوصيات:

إنَّ اللغة العربية التي شرَّفها الله تعالى بأن تكون لغة القرآن الكريم لما خصَّها به من ثراء الألفاظ وسعة الدلالة، وبراعة البيان، ما ليس لغيرها من اللغات، أمّا التعبير القرآني فإن له من الأساليب ما يمتاز به عن غيره من الأحاديث القدسية، والأحاديث النبوية الشريفة، وعن الشعر والنثر ممّا فاه به العرب الأوائل في قصائدهم وخطبهم التي لها ما لها من جمال اللغة وعلو المكانة، وليس ذلك فحسب بل إن هؤلاء البلغاء والفصحاء وقفوا عاجزين أمام روعة بيانه وعلوِّ شأنه حينما تحدّاهم الله تبارك وتعالى بأن يأتوا بآية من مثله، وإعجازه هذا باقٍ إلى يوم الدين، وعلى الرغم من كل جهود الدارسين ومحاولاتهم الحثيثة في كشف أسراره واستخراج كوامنه، فإن عجائبه لا تنتهي إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

ويمر الزمن، ويتيح الله ﷻ لعباده من أسرار آياته في الأرض ما يشاء، فيكون عطاء القرآن متساويا مع قدرة العقول؛ لأن الرسالات التي سبقت الإسلام كانت محدودة الزمان والمكان، أما القرآن الكريم فزمنه إلى يوم القيامة، ولذلك لا بدَّ أن يقدِّم إعجازا لكلِّ جيل؛ ليظل معجزة في كلِّ عصر.[٦٥]

وصدق القائل: " العلوم ثلاثة: ... وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير...".[٦٦]

من أجل ذلك أوصي الباحثين والدارسين في تخصُّص البلاغة العربية أو في علم التفسير بمواصلة الدراسات لسبر أغوار هذا الكنز العظيم الذي أودعه الله تعالى أمانةً لدينا وتولّاه بالحفظ من عبث العابثين. قال تعالى : چ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ چ[67]

١ على طريق التفسير البياني، د. فاضل صالح السامرائي، ط: النشر العلمي-جامعة الشارقة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م: ٧/١.

٢ سورة الفرقان: الآية ٣٣.

٣ لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت: ٧١١هـ)، دار صادر – بيروت، ط: ٣ -١٤١٤هـ: ٥٥/٥، عدد الأجزاء: ١٥.

٤ تفسير الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب-جامعة طنطا، ط: ١، ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م: ١٠/١.

٥ البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، دار الفكر-بيروت، د. ط.، ١٤٢٠هـ: ٢٦/١، عدد الأجزاء: ٥.

٦ التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، دار سحنون للنشر والتوزيع-تونس، ١٩٩٧م: ١١/١-١٢. عدد الأجزاء / ٣٠

٧ لسان العرب: ٦٧/١٣-٦٨.

٨ البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي أبو عثمان الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، دار ومكتبة الهلال-بيروت، ١٤٢٣هـ: ١١/١، عدد الأجزاء: ٣.

٩ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي (ت: ١٣٦٢هـ)، المكتبة العصرية-بيروت: ٢١٦.

١٠ على طريق التفسير البياني: ٧/١.

١١ يُنظَر: على طريق التفسير البياني: ١٣/١.

١٢ سورة المدثر: الآية ١١.

١٣ أخرجه الحاكم في المستدرك، باب تفسير سورة المدثر، (٣٨٧٢). هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (ت: ٤٠٥هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط:١، دار الكتب العلمية-بيروت، ١٤١١هـ-١٩٩٠م: ٥٥٠/٢.

14 البيان والتبيين، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، ط: دار ومكتبة الهلال-بيروت، ١٤٢٣هـ: ١٣٦/١.

١٥ سورة البقرة: من الآية ١٨٧.

١٦ رواه البخاري، باب: قوله﷿: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾، (١٩١٦): ٣/٢٨.

١٧ يُنظَر: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم، د. محمد رجب البيومي، ط: مجمع البحوث الإسلامية–القاهرة، ١٣٩١م–١٩٧١م: ١٥.

١٨ سورة النحل: من الآية ٤٧.

١٩ الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، ط:١ دار ابن عفان–القاهرة، ١٤١٧هـ–١٩٩٧م.

٢٠ يُنظَر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، د. فهد سليمان الرومي، ط:٣، مؤسسة الرسالة–بيروت، ١٤١٨هـ–١٩٩٧م: ٣/٨٧٢.

٢١ يُنظَر: معجم غريب القرآن مستخرجا من صحيح البخاري، د. محمد فؤاد عبد الباقي، ط: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركاه: ١.

٢٢ يُنظَر: اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر: ٣/٨٧٢.

٢٣ هو معمر بن المثنى أبو عبيدة البصري مولى بني تيم قريش، كان من أعلم الناس باللغة وأنساب العرب وأخبارها، وهو أول من صنف غريب الحديث. أخذ عن يونس بن حبيب، وأبي عمرو بن العلاء، وأسند الحديث إلى هشام بن عروة الامام الحجة، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام، والأثرم، وأبو عثمان المازني، وأبو حاتم السجستاني، وعمر بن شبة النميري، وغيرهم. قال عنه يزيد بن مرة: كان أبو عبيدة ما يفتّش عن علم من العلوم إلا كان من يفتشه عنه يظنّ أنه لا يحسن غيره ولا يقوم بشيء أجود من قيامه به، وقيل إنه كان خارجيا إباضيا. له من المصنفات غير مجاز القرآن ما يقارب المائتين، منها: غريب القرآن، غريب الحديث، اللغات، الأضداد، ما تلحن فيه العامة، كتاب بيوتات العرب، وغيرها. قيل إن وفاته كانت سنة سبع أو ثمان أو تسع أو إحدى عشرة أو ثلاث عشرة ومائتين. يُنظَر: معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت: ٦٢٦هـ)، تحقيق: إحسان عباس، ط:١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٤١٤هـ–١٩٩٣م: ٦/٢٧٠٤–٢٧٠٩.

٢٤ يُنظَر: مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري (ت: ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمد فواد سزكين، ط: مكتبة الخانجي–القاهرة، ١٣٨١هـ: ١٩.

٢٥ البيان والتبيين: ١/٢٨٠.

٢٦ مجاز القرآن: ١٩.

٢٧ يُنظَر: خطوات التفسير البياني للقرآن: ٦٢–٦٣.

٢٨ هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري، المعتزلي، العلامة، المتبحر، ذو الفنون، صاحب التصانيف. سمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد الأنصاري، وأخذ النحو عن الأخفش وكان صديقه، وأخذ الكلام عن النظام، وتلقف الفصاحة من العرب شفاها بالمربد. وكان أحد الأذكياء، ومن بحور العلم، قيل: لم يقع بيده كتاب قط إلا استوفى قراءته، حتى إنه كان يكتري دكاكين الكتبيين، ويبيت فيها للمطالعة، وكان باقعة (داهية) في قوة الحفظ. تصانيفه كثيرة جدا، منها: الحيوان، البيان والتبيين، والبخلاء وغيرها. توفي ٢٥٥هـ. يُنظر: معجم الأدباء: ٥/٢١٠١-٢١٢٢؛ وسير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت: ٧٤٨هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط:٣، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م: ١١/٥٢٦-٥٣٠.

٢٩ الفتح بن خاقان بن أحمد وزير المتوكل؛ كان شاعراً فصيحاً مفوهاً محسناً موصوفاً بالشجاعة والكرم والرياسة والسؤدد، استوزره المتوكل وأمَّره على الشام، قُتِلَ هو والمتوكل معًا، سنة (٢٤٧هـ). وكانت له خزانة كتب لم يُرَ أعظم منها كثرة وحسناً، وكان يحضر داره فصحاء الأعراب وعلماء البصريين والكوفيين. يُنظَر: الفهرست، أبو الفرج محمد بن إسحاق بن محمد الوراق البغدادي المعتزلي المعروف بابن النديم (ت: ٤٣٨هـ)، تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة بيروت – لبنان، ط: ٢، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م: ١٤٨.

٣٠ يُنظَر: رسائل الجاحظ: عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، أبو عثمان، الشهير بالجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط: مكتبة الخانجي-القاهرة، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م: ٣/٢٨٧.

٣١ يُنظَر: أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى نهاية القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام، ط:١، مكتبة الشباب-الحُدَيدة: ٧٣.

٣٢ هو أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، وقيل: المروزي، العلامة، الكبير، ذو الفنون، صاحب التصانيف، كان رأسا في اللسان العربي والأخبار. نزل بغداد، وصنف وجمع، وبعد صيته. حدث عن: إسحاق بن راهويه، ومحمد بن زياد الزيادي، وأبي حاتم السجستاني، وطائفة. وحدث عنه: ابنه القاضي؛ أحمد بن عبد الله، بديار مصر، وعبيد الله السكري، وعبيد الله بن أحمد بن بكر، وغيرهم. وكان من أهل السنة. قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة دينا فاضلا. من تصانيفه: غريب القرآن، غريب الحديث، مشكل القرآن، مشكل الحديث، الفقه، جامع النحو، الرد على من يقول بخلق القرآن، وغيرها. توفي ٢٧٦هـ. يُنظر: سير أعلام النبلاء: ١٩/٢٩٦-٣٠٢.

٣٣ يُنظَر: تأويل مشكل القرآن، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية-بيروت: ٤.

٣٤ غريب القرآن لابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: ٢٧٦هـ)، تحقيق: سعيد اللحام: ١٠.

35 هو أبو الحسن محمد ابن الطاهر أبي أحمد الحسين بن موسى الحسيني الموسوي البغدادي. الشاعر، صاحب الديوان في أربعة مجلدات. له نظم في الذروة حتى قيل: هو أشعر الطالبيين. وله كتاب معاني القرآن ممتع يدل على سعة علمه. كان شيعيا. توفي ٤٠٦هـ. يُنظر: سير أعلام النبلاء: ١٧/٢٨٥-٢٨٦.

٣٦ يُنظَر: تلخيص البيان في مجازات القرآن، الشريف الرضي، ط: دار الأضواء-بيروت: ٢/٦١.

٣٧ هو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني. شيخ العربية، أخذ النحو بجرجان عن أبي الحسين محمد بن حسن ابن أخت الأستاذ أبي علي الفارسي. كان عالما شافعيا أشعريا، ذا نسك ودين. وكان آية في النحو. صنف شرحا حافلا للإيضاح في ثلاثين مجلدا، ومختصر شرح الإيضاح، وله إعجاز القرآن، وفسر الفاتحة في مجلد، والمفتاح، وغيرها. توفي ٤٧١هـ، وقيل ٤٧٤هـ.

٣٨ دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر، ط:٣، مطبعة المدني-القاهرة، ودار المدني-جدة، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م: ٥-٧.

٣٩ يُنظَر: خطوات التفسير البياني للقرآن الكريم: ٢٠٥-٢٠٦.

40 هو أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الخوارزمي، العلامة، النحوي، كبير المعتزلة، صاحب الكشاف، كان رأسا في البلاغة والعربية والمعاني والبيان، وله نظم جيد. رحل وسمع ببغداد نصر بن البطر، وغيره. روى عنه بالإجازة: أبو طاهر السلفي، وزينب بنت الشعري. من مصنَّفاته: المفصل، الفائق في غريب الحديث، ربيع الأبرار، أساس البلاغة، ومشتبه أسامي الرواة، والمنهاج في الأصول، وغيرها. توفي ٥٣٨هـ. يُنظَر: سير أعلام النبلاء: ٢٠/١٥١-١٥٦.

٤١ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت: ٥٣٨هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، ط: دار إحياء التراث العربي-بيروت: ١/٤٣-٤٤.

٤٢ سورة القيامة: الآيتان ٢٢-٢٣.

٤٣ سورة القيامة: الآية ١٢.

٤٤ سورة القيامة: الآية ٣٠.

٤٥ سورة الشورى: من الآية ٥٣.

٤٦ سورة آل عمران: من الآية ٢٨.

٤٧ سورة البقرة: من الآية ٢٤٥.

٤٨ سورة هود: من الآية ٨٨.

٤٩ الكشاف: ٦٦٣/٤.

٥٠ هو الشيخ محمد بن عبده بن حسن خير الله، وُلد ١٢٦٦هـ-١٨٤٩م بقرية محلة نصر في محافظة البحيرة، تعلم القرآن في صغره، ودرس في جامع الأحمدي، ثم انتقل إلى الأزهر، ونال شهادة العالمية ١٢٩٤هـ-١٨٧٧م، تتلمذ على الشيخ درويش خضر وحسن الطويل وجمال الدين الأفغاني الذي تأثر به كثيرا، وأسس معه مجلة العروة الوثقى. تولى الكثير من المناصب منها: قاضي المحاكم الشرعية، ثم مستشار لمحاكم الاستئناف، ومفتي الديار المصرية، واشتغل بالتدريس في الأزهر، وسوريا، ولبنان، ثم عين عضوا بمجلس شورى القوانين، كما انتخب رئيسا للجمعية الخيرية الإسلامية. من مؤلفاته: رسالة الواردات، العقيدة المحمدية، العروة الوثقى وغيرها. توفي ١٣٢٣هـ-١٩٠٥م. يُنظَر: الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت: ١٣٩٦هـ)، ط:١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢م: ٢٥٢/٦.

51 هو محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن ملا علي خليفة القلموني، صاحب مجلة المنار وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكتّاب العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ١٢٨٢هـ-١٨٦٥م، في قرية القلمون اللبنانية، وكان أبوه إمام مسجد القرية؛ فحفظ القرآن الكريم وتعلم مبادئ القراءة والكتابة والحساب. وتلقى تعليمه الابتدائي في المدرسة الرشيدية، ثم التحق بالمدرسة الإسلامية بطرابلس. تتلمذ على حسن الجسر ومحمود نشابة ومحمد الغاوجي وآخرين، ولم يفلح في الاتصال بجمال الدين الأفغاني، فانتقل إلى مصر ليدرس على يد محمد عبده، وكان قد التقاه من قبل في لبنان. ومن مصر بدأ الشيخ دعوته الإصلاحية عن طريق التربية والتعليم، واتخذ من المنار منبرا ينشر منه أفكاره. من مؤلفاته: تفسير المنار، وتاريخ الأستاذ الإمام، والخلافة، ونداء للجنس اللطيف، وغيرها. توفي ١٨٦٥هـ-١٩٣٥م. يُنظَر: الأعلام: ١٢٦/٦-١٢٧.

٥٢ يُنظَر: الأعمال الكاملة للإمام الشيخ محمد عبده، تحقيق: د. محمد عمارة، ط:١، دار الشروق-القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م: ٨/٤.

٥٣ من أعضاء المجمع اللغوي بمصر. وُلد ١٣١٣هـ-١٨٩٥م في قرية شوشاي بالمنوفية وتعلم بالأزهر ثم تخرج بمدرسة القضاء الشرعي، وعين مسؤولا للشؤون الدينية في السفارة المصرية بروما، ثم نقل إلى برلين، ثم عاد إلى مصر. عُين أستاذا في الجامعة المصرية، ثم وكيلا لكلية الآداب، فمديرا للثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم الى سنة ١٩٥٥ وبها أحيل إلى المعاش ومثّل مصر في عدة مؤتمرات. له عدة مؤلّفات منها: البلاغة العربية، فن القول، مشكلات حياتنا اللغوية، والتفسير معالم حياته ومنهجه اليوم. توفي بالقاهرة ١٣٨٥هـ-١٩٦٦م.

٥٤ يُنظَر: مناهج تجديد في النحو والبلاغة والتفسير والأدب، أمين الخولي، ط:١، دار المعرفة–القاهرة، ١٩٦١م: ٣٠٣.

٥٥ م. ن.: ٣٠٤.

٥٦ م. ن.: ٣٠٧–٣١٦.

٥٧ هي عائشة محمد علي عبد الرحمن، مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة. أول امرأة تحاضر بالأزهر، اشتغلت بالصحافة في مصر في جريدة الأهرام، ولدت في مدينة دمياط ١٩١٣م، وحفظت القرآن في طفولتها، حصلت على شهادة الكفاءة للمعلمات من منزلها عام ١٩٢٩م، وكانت الأولى على مصر، ثم الثانوية، والتحقت بجامعة القاهرة لتتخرج من كلية الآداب قسم اللغة العربية عام ١٩٣٩م، ثم نالت الماجستير ١٩٤١م، ثم الدكتوراه ١٩٥٠م. عُيِّنت أستاذا لكرسي اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس، ثم أستاذ التفسير والدراسات العليا في كلية الشريعة بجامعة القرويين وأستاذ زائر لجامعات عربية عديدة، وحصلت على الكثير من الجوائز. من مؤلفاتها: التفسير البياني للقرآن الكريم، القرآن وقضايا الإنسان، نساء النبي، وغيرها. توفيت ١٩٩٨م. يُنظَر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة. ar.wikipedia.org/wiki

٥٨ يُنظَر: التفسير البياني للقرآن الكريم، د. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، ط:٥، دار المعارف–القاهرة، ١٣٩٧هـ–١٩٧٧م: ١/١٧–١٨.

٥٩ م. ن.: ٢/٨–٩.

٦٠ هو محمد متولي الشعراوي، عالم، ووزير أوقاف مصري سابق، يعد من أشهر مفسري معاني القرآن الكريم في العصر الحديث بطريقة مبسطة وعامية فوصل لشريحة عريضة من المسلمين. لُقِّب بإمام الدعاة. ولد ١٩١١م بقرية دقادوس بالدقهلية، وحفظ القرآن الكريم في الحادية عشرة، ثم تخرج بكلية اللغة العربية ١٩٤٠م، وحصل على العالمية مع إجازة التدريس عام ١٩٤٣م. عُين مدرسا بالمعهد الأزهري في طنطا والإسكندرية والزقازيق، وعمل أستاذا بكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز وجامعة أم القرى في السعودية. عُين عضوا بمجمع البحوث الإسلامية، وعضوا بمجلس الشورى، وشغل غيرها من المناصب. أرجع آراء المستشرقين إلى ضعف ملكتهم اللغوية، ونقد اتهاماتهم وصححها عند تفسيره للقرآن الكريم. كان أول من أصدر قرارا وزاريا بإنشاء بنك فيصل الإسلامي بمصر. من مؤلفاته: خواطري في تفسير القرآن الكريم، ومذكراته، والفتاوى. توفي ١٩٩٨م. يُنظَر: ويكيبيديا الموسوعة الحرة. ar.wikipedia.org/wiki

٦١ يُنظر: تفسير الشعراوي: ١/٩

٦٢ م. ن.: ١/١١–١٢.

٦٣ هو أبو محمد فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري، ولد في سامراء ١٩٣٣م في عائلة دينية، كان حاد الذكاء فتعلّم القرآن في طفولته، عُيّن معلماً في مدينة بلد ١٩٥٣م، ثم تخرج في دار

المعلمين العالية بقسم اللغة العربية (كلية التربية) ١٩٦١م، ورجع إلى التدريس الثانوي. حاز الماجستير في كلية الآداب بجامعة بغداد وعُين معيدا فيها، ثم نال الدكتوراه بجامعة عين شمس ١٩٦٨م، فعُين أستاذا في كلية الآداب بجامعة بغداد ثم عميدا لكلية الدراسات الإسلامية المسائية حتى إلغاء الكليات الأهلية في العراق. أُعير إلى جامعة الكويت للتدريس في قسم اللغة العربية ثم رجع إلى العراق، فأصبح خبيرا في لجنة الأصول في المجمع العلمي العراقي، وعين عضواً عاملاً في المجمع العلمي العراقي، ثم أُحيل إلى التقاعد عام ١٩٩٨م. رحل إلى الخليج ليعمل أستاذاً في جامعة عجمان ثم انتقل إلى جامعة الشارقة أستاذاً لمادة النحو والتعبير القرآني إلى ٢٠٠٤م. عاد بعدها إلى العراق وعاد للتدريس في جامعة بغداد. من مؤلفاته: معاني النحو، أسرار البيان في التعبير القرآني، على طريق التفسير البياني، لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، وغيرها.

٦٤ يُنظَر: على طريق التفسير البياني: ١/٥.

٦٥ تفسير الشعراوي: ١/١٢.

٦٦ يُنظَر: المنثور في القواعد الفقهية، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت: ٧٩٤هـ)، ط:٢، وزارة الأوقاف الكويتية، ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م: ١/٧٢.

67 سورة الحجر: الآية ٩.